

« كتاب الجزائر »

كذلك وبمثل ذلك يؤدي الواجب

ايها الجزائري الناشئ

لكاتب كبير



ما من شعب جهل ابناؤه تاريخه ، واغفلوا شأنه ولم يقيموا وزنا
للبحث عن ادوار الرقي وماله من اسباب ونتائج ، وادوار الانحطاط
وماله من اسباب ونتائج ايضا ، وبقدوا حلقة الاتصال بين الماضي
والحاضر ؛ الا وظل تائها في مهامه الضلال ، حائرا لا يدري اتجاهها
للحياة مضطربا لا يستقر على حال من القلق ؛ بل واصبح ضحية جهل
كل ماله من مكانة وعزة ؛ وذلك اما ان يبتله محيط لا ينتفع
به ، او عنصر لا يمت اليه بادنى صلة . كذلك كان مصير شعوب
كثيرة لم تابه لدرس تاريخها

وذلك ما كاد ان يفرض بالجزائر الى تلك الغاية المشثومة ،
لولا مبادرة سن يهمهم شأنها الى اصلاح ذلك الخلل ، او لولا ذلك
الفكر الفياض الذي يحملها نابغة وزعيم وكاتب القطرين ؛ الاستاذ
احمد توفيق المدني ، وهو بعملا ومجهوده حري بذلك بلا نزاع
فان « كتاب الجزائر » الذي هو ثمرة ذلك الفكر الفياض ،
واثر تلك الروح القوية عنوان قوي لا الى الحد الذي يلائم ما

للكتاب من قيمة تاريخية وروعة فنية وواسع لا الى المدى الذي ينبغي ان يبلغه ما في الكتاب من بحوث قيمة وحقائق سهوسة؛ بل من النصفه نظرا لذلك المجهود وذلك الواجب الاكيد اللذين قام بهما ذلك الاخ الموفق بل التوفيق نفسه احمد توفيق المدني ان يدعى « دائرة المعارف الجزائرية » ، وان لفظ « النصفه » التي عبرنا بها كلمة متواضعة في نظرنا ونظر كل حضيف ، والا بالواجب نظرا لقحولة الجزائر وقرها قبل من عشر معشار ماضمه « كتاب الجزائر » بين دفتيه من المعلومات بلسانها العربي المبين ان نقول ؛ من المفروض بدل « النصفه » ، ومما يمتاز به « كتاب الجزائر » ان صاحبه قد نزع في طائفة كبيرة من مؤلفه الممتع نزعة سليمة في اسلوب محكم مقبول ، فالكتاب من هذه الناحية اذا له اثره الخاص ، علاوة على ما اقدم به من معان للتجديد النزيه جديدة ، وصور رائعة مبتكرة ، ومثل عليا ، كل ذلك بخطوات وثيدة واسعة ثابتة بها يمكن اقتياد الجزائر الى حيث يبسم لها الامل . فهو من تلك الناحية ايضا ضوء قوي القاه حامله على تاريخ الجزائر العتيقة والحديثة ليتسنى للباحثين معرفة المدى الذي بلغته الجزائر من الرقي والا انحطاط في جميع ادوار حياتها ؛ وهم في ضوء هذه الحقائق وتلك الاساليب الحكيمة سيجدون اعظم مميزات ، ويتعرفون بكل سهولة الفروق التي بها تتمايز الشعوب والعضور ويختلف بعضها عن بعض في كل شيء ، ويتعرفون بان الكتاب ثمرة جهد علمي ادبي اقتصادي وما

الى ذلك وهو جدير من كل مطلع بقدر لقيمة المجهودات بالشكر
والاعجاب والتقدير

واعظم الاثر الذي نلوه في كتاب الجزائر على الاخص بلده
صدي الروح الملية الجزائرية بعد ما ظلت ضماي مدى اجيال طويلة
بما تضمن من حوادث وبحوث تسر النفوس وتملك الحواس والمشاعر
وتستوقف الافكار وتكشف عما للهجتماع من علل وامراض تبعث
ارباب الغيرة على القاق والاشفاق ، وتستفز المستنيرين من حمالة
الاصلاح الى التماس وسائل العلاج الناجع . وجدير بكل موفق من
شباب الجزائر ان يلمس ذلك الاثر العميق ويحس به في كل صفحة
من صفحات الكتاب ، التي تحمل من الاحساسات العميقة النبيلة
الصادرة من فكر فياض وفؤاد فتى ما لو تآثر بها وتكيف بها
وتحمس لها لكانت كافية لان تعبد له طريق العمل بعد ، فيستوضح
بها حياة بلاده منذ نشأتها ودخولها ضمن التاريخ البشري العالمي
وهذه هي النزعة التي نزع اليها مؤلف « كتاب الجزائر »
الاستاذ احمد توفيق المدني ، وهمه الفحص والاستقصاء عن بلاد
الجزائر ؛ ليعرف كيف يذكر لا بنائها كيفية كيانها وعوامل وحدتها
وتضامنها ، او صورة انحلالها وتفككها وتلاشي عوامل سعادتها .
ولكي يصور ذلك في صورة واضحة يتبع رأيه الذي هو عبارة
فكر مؤرخ بصير بسرد حوادث بدقة ليدعم بها رأيه من جهة ،
ومن جهة اخرى ليرشد الشباب الى معرفة العقلية السائدة في كل

دور من ادوار الماضي او الحاضر ، وتعرب اخلاق العائشين في كل دور من تلك الادوار من وراء اعمالهم واحوالهم ؛ وبعبارة اوضح من هم صاحب الكتاب الفحص عما بين الادي الجزائر مما خالجه ثمضي او اوجده الحاضر ليعمل بناؤها البررة على ازالة عوامل النقص الذي تركه الماضي او جده الحاضر ويثبوا الى معارج الكمال من الحياة ، ويعتبروا ما الوطن وما الاسلام الذي هو وحدة ستينة ، وكيف يلتفون حول معانيهما ويتمسكون بها

ان المؤلف الكريم يبدو في كتابه كثير الاطلاع ، واسع الصدر وكثير التفائل ، ثم يبدو قوي الشكيمة في الحق بصورة على ما هو عليه ، ويبدو متواضعا في غير ذلة وضرع ، حساسا في غير نزوع في الخيال . وذلك من اكبر العوامل في توفيقه الى عمل جسيم لا ينهض به غير لجنة عليية من الخبراء

ومما امتاز به قيامه بذلك المجهود العظيم المادي والادبي في جزلة تلك الخريطة التي هي اول خريطة لبلاد الجزائر تناولت جغرافية البلاد الطبيعية والاقتصادية والسياسية

ولسنا الان بصدد تقرير « كتاب الجزائر » والتنويه بصاحبه محبوب ، ولو كان لنا متسع من الوقت لكان لنا في ذلك مجال واي محل ، ولما كنا نكتفي بهذه الكلمات المتواضعة في نظرنا ونظر كل من يقدر كل عظيم من الاعمال والعاملين

وانا قصاري ما نريد به من هذا النزر الذي يتم عما يكن القلب

من تقدير لذلك المجهود هو استيحاءات هم الشباب الجزائري ،
والفات نظره الى ما رسمه له هذا العامل النشيط من الخطط ،
لينسج على ذلك المنوال ، لان الخدمات التي يجب تقديمها للبلاد في
مثل هذا الظرف هي نظير ما اختطه ذلك الاخ المخلص احمد توفيق
المدني ؛ لان ذلك مما يجعل الشباب الناشئين عارفين لهم ولوطنهم
ما كانت له ولا سلافهم من عزة ومكانة ، فتهزهم تلك النخوة وتهب
بهم الى استعمال الوسائل المعقولة لاجل الحياة في مستوى لائق .
فاكتشاف كل ما كان للوطن من عز وسؤدد هو اول عمل مشر ،
والسمو بالوطن الى كل مكانة يحمدها له العصر الحاضر والظرف
الراهن اجل عمل . فالذي يحمل كل فكرة وطنية لا يصدق فيما
يقول الا اذا خدم الوطن من العاجية التي خدمها الاستاذ احمد توفيق
المدني صاحب « كتاب الجزائر » وخريطة الجزائر . اللذين اقترح
تقرير جمعية العلماء دراستها بالمدارس الابتدائية العربية بطريق الالزام